مجلة جامعة الملك خالد
للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد الرابع

العدد الثاني (إبريل 2023م)

جامعة الملك خالد

King Khalid University

P-ISSN 1658-872X
E-ISSN 1658-8568
رقم الإيداع: 1442/3597

مجلة جامعة الملك خالد
للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

رئيس التحرير: أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير: أ.د. عبد العزيز محمد رمضان

هيئة التحرير: أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ. د. علي بن حسين صميلي

د. حسن بن يحيى الشوكاني

د. علي بن عوض آل قطب عسيري

الهيئة الاستشارية: معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري (جامعة الجوف سابقًا)

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر (جامعة الحدود الشمالية سابقًا)

أ.د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش (جامعة أم القرى)

أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي (جامعة الملك سعود)

أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب (جامعة الملك سعود)

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي (جامعة بيشة)

أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي (جامعة القصيم)

أ.د. غيثان بن علي جريس (جامعة الملك خالد)

أ.د. محمد بن منصور حاوي (جامعة الملك خالد)

المراسلات:

- تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241، هاتف 072289241، بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/، وفق الشروط الآتية: -

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.

- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

المحتويات..... ز

تصدير العدد ..... ط

البحوث

– **موضي بنت عبد الله السرحان**: الملامح الاقتصادية لمكة من خلال رحلة ابن جُبَير "نذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (579هـ/ 1182م) **19-1**

– **عبير حسين مقبل الطويهر**: العلاقة بين الكامل محمد والمعظم عيسى بين الوفاق والاختلاف (615-624هـ/ 1218-1227م) **53-21**

– **سامي بن سعد المخيزم**: الأمير المسَفَّر في دولة سلاطين المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م) **83-55**

تصدير العدد

يطيب لهيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها العاشر (العدد الثاني من المجلد الرابع/ أبريل 2023م) الذي يحوي بين جنباته بحوثًا تتسم بالعمق والجِدّة والأصالة، ولمجموعة متميزة من الباحثين المتخصصين في مختلف حقب التاريخ والمنتمين إلى جامعات المملكة العربية السعودية. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات.

والتزامًا من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العملَ جارٍ على تحكيم بحوث العدد الثالث من المجلد الرابع (يوليو 2023م) ومراجعتها تمهيدًا للنشر في الموعد المحدد.

وأخيرًا؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترتجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa

رئيس التحرير

أ. د. أحمد بن يحيى آل فائع

أبحاث العدد

العلاقة بين الكامل محمد والمعظم عيسى بين الوفاق والاختلاف (615–624هـ/1218–1227م)

د. عبير حسين مقبل الطويهر

جامعة طيبة – السعودية

المستخلص:

يسلط هذا البحث الضوء على علاقة الكامل محمد والمعظم عيسى في الفترة من 615هـ/1218م وحتى عام 624هـ/1227م، وهي العلاقة التي مرَّت بمرحلتين: مرحلة الوفاق والائتلاف والتصافي، ومرحلة الاختلاف والصراع والتنازع. ويوضح البحث أسباب الاختلاف بين الأخوين الكامل محمد والمعظم عيسى، ونتائج هذا الاختلاف. وسوف نتناول –في هذا البحث–: التمهيد: ونُعرِّف فيه بصورةٍ موجزةٍ بشخصيتي الكامل والمعظم، وبعد ذلك نتطرَّق إلى مرحلة الوفاق بين الأخوين، ثم نتناول مرحلة الاختلاف وأسباب الخلاف بينهما ونتائج هذا الخلاف، فهذا الصراع له تأثيرٌ بارزٌ لا يشمل الدولة الأيوبية فقط، لكن يمسُّ هذا الصراع –بنتائجه– العالم الإسلامي كافة، وسنتناول أيضًا دور الخليفة العباسي والملك الأشرف موسى في هذا الصراع.

الكلمات المفتاحية: الأيوبيون؛ الكامل محمد؛ المعظم عيسى؛ الوفاق؛ الصراع.

The Relationship between Al-Kamil Mohammed and Al-Mu'azzam Isa between Reconciliation and Differences (615-624 AH/ 1218-1227 AD)

Dr. Abeer H. M. Altwehr
Taibah University – Saudi Arabia

Abstract:

This research highlights the relationship of Al-Kamil Mohammed and Al-Mu'azzam Isa in the period between 615 Hijri / 1218 AD until 624 Hijri / 1227 AD. The relationship passed through two stages, the stage of reconciliation, coalition and sincerity, and the stage of difference, conflict and dispute. The research also explains the reasons for the difference between the two brothers Al-Kamil Mohammed and Al-Mu'azzam Isa, and the results of this difference. We will address in this research the introduction and know in a brief the personalities of Al-Kamil and Al-Mu'azzam, and then address the stage of reconciliation between the two brothers, and then address the stage of difference and the reasons for the disagreement between them and the results of this dispute. This conflict has a prominent impact does not include the Ayyubid state only, but affects this conflict results all the Islamic world, we will also address the role of the Abbasid Caliph and King Ashraf Musa in this conflict**.**

Keywords: Ayyubids, Al-Kamil Muhammed, Al-Mu'azzam Isa, Reconciliation, Conflict.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

عَمِدَ بعضُ الخلفاء والملوك والسلاطين إلى تقسيم الممالك بين أبنائهم إبَّان حياتهم، ومن هؤلاء: العادل الأيوبي، حيث أعطى الكامل محمد "مصر"، وأعطى المعظَّم عيسى "بلاد الشام"، وأعطى الأشرف موسى "الجزيرة الفراتية"، وأعطى ولده الأَوحد أيوب "خلاط".

واستقرت أوضاع الدولة الأيوبية في عهده، لكن بدأت الصراعات بين أبنائه بعد وفاته، فكلٌّ منهم طمع في فرض سيطرته وتوسيع مملكته.

تتمثل أهمية هذا البحث في كشف العلاقة بين الملك الكامل محمد وأخيه المعظم عيسى في فترتي الائتلاف والاختلاف، فبعد وفاة العادل كانت العلاقة بين أبنائه جيدة, فقد كانوا يدًا واحدةً ضد أعدائهم، واستمر هذا الأمر فترة من الزمن, ثم تغيرت هذه العلاقة إلى نزاع واختلاف، ومن خلال هذه الدراسة نحاول -بقدر المستطاع- تسليط الضوء على الأسباب التي أدَّت إلى هذا الاختلاف، كما تبيِّن الدراسة تأثير هذا الخلاف على العالم الإسلامي، والتحالفات التي عقدها كلُّ أخٍ من الأخوين مع أطراف خارجية، ويهدف البحث أيضًا إلى معرفة دور "الخلافة العباسية" و"أخيهما الأشرف موسى" في هذه الخلافات.

تعتمد هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي، من خلال جمع المعلومات التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة ووصفها وتحليلها.

هناك عددٌ من الدراسات التي تناولت سيرة الأخوين الكامل محمد والمعظم عيسى وأعمالهما ودورهما في محاربة الصليبيين، ومنها رسالة ماجستير من جامعة الموصل بعنوان: (الملك المعظم عيسى الأيوبي وحكمه لدمشق (592-624هـ/1195-1227م) لمهدي السفياني.

وهناك رسالة دكتوراة من جامعة مؤتة بعنوان: (الملك المعظم عيسى الأيوبي ودوره في مقاومة الغزو الصليبي) لحسين الشقيرات، وأيضًا بحث منشور تطرَّق لمصنَّف في قواعد الفقه للمعظَّم بعنوان: (الملك المعظم عيسى الأيوبي – لمحات من حياته وأضواء على كتابه في قواعد الفقه "أصول الجامع الكبير") لعلي الندوي.

أمَّا الدراسات التي تتناول الملك الكامل فأغلبها لا تتطرَّق لصراعه مع أخيه المعظم عيسى سوى بإشارة عابرة، ومن هذه الدراسات رسالة ماجستير من جامعة الموصل بعنوان: (الملك الكامل الأيوبي وعصره) لذكرى عزيز، كذلك هناك بحث منشور بعنوان: (الكامل الأيوبي وبيت المقدس: قراءة جديدة) لعمَّار النهار، وبحث آخر بعنوان: (العلاقة بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فردريك الثاني 624-626هـ) لغادة حسن. ومن

الدراسات التي تتناول دور القدس في الصراع السياسي في العصر الأيوبي: بحث منشور بعنوان: (دور القدس في الصراع السياسي منذ هدنة الرملة حتى سقوط الدولة الأيوبية: دراسة تاريخية588-648هـ) لشوكت رمضان حجة. أيضًا من الدراسات السابقة: رسالة ماجستير في جامعة ديالي بعنوان: (صراع السلطة في البيت الأيوبي بعد صلاح الدين وأثره في الحروب الصليبية) لغالب محمود سعيد، وقد تم نشر مبحث من مباحث الرسالة في "مجلة ديالى" بعنوان: (صراع السلطة بين أبناء البيت الأيوبي بداية النهاية لحكمهم) تناول فيه الباحث الصراعات داخل الأسرة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، وأثر هذا الصراع على المدى القصير والطويل.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: (مقدّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة)، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: فيه نبذة تعريفية عن الكامل محمد والمعظَّم عيسى.

المبحث الأوّل: مرحلة الوفاق بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى.

المبحث الثَّاني: مرحلة الخلاف بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى.

المبحث الثالث: موقف الخليفة العباسي من الصراع بين الكامل والمعظَّم.

المبحث الرابع: دور الملك الأشرف في الصراع بين الكامل والمعظَّم.

ثم خاتمة تضمَّنت عدة حقائق تاريخية.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يزيدنا علمًا نافعًا وعملًا صالحًا. وصلَّى الله وسلَّم على رسوله محمد.

التمهيد. نبذة تعريفية عن الكامل محمد والمعظم عيسى:

نبدأ هذا البحث في التعريف بهذين الأخوين، أولًا: "الكامل محمد" هو: أبو المظفَّر محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ولد سنة 576هـ/1180م، حكم مصر أربعين سنة. كان محبًّا للحديث وأهله، أنشأ "دار الحديث" في القاهرة [1].

كان الكامل يحكم مصر نائبًا عن أبيه الملك العادل [2]، استدعاه أبوه سنة 596هـ، وجعله وليَّ عهده[3]، ثم تولَّى السلطنة وانفرد بحكم مصر بعد وفاته سنة 615هـ/ 1228م[4]، وطمع في الاستيلاء على دمشق بعد وفاة أخيه المعظَّم، فتمَّ له ذلك سنة 626هـ/1229م[5].

تُوفِّي الكامل محمد في دمشق عام 635هـ/1237م، قيل: أخذه زكام؛ فصبَّ على رأسه ماءً شديد الحرارة، وأمره الأطباء أن لا يتقيَّأ، فخالفهم وتقيَّأ دمًا ومات، وكان عمره لما تُوفي نحو ستين عامًا [6].

أما "المعظَّم عيسى" فهو: شرف الدين أبو العزائم عيسى بن محمد الحنفي، ولد في القاهرة سنة 576هـ/1180م، نشأ بدمشق وحفظ القرآن [7]. كان يحبُّ المناظرة، وكان ذا دهاءٍ وحزم، وكان شجاعًا متواضعًا. وصفه الذهبي فقال: "كان فيه خيرٌ وشرٌّ كثير -سامحه الله-"[8].

وامتدحه عددٌ من المؤرخين المعاصرين له، ومنهم: سبط ابن الجوزي [9]، ويقول ابن تغري بردي -تعقيبًا على مدحه له-: "وأطلق أبو المظفَّر عنان القلم في ميدان محاسنه حتى إنَّه ساق ترجمته في عدة أوراق في "مرآة الزمان". قلتُ: ويحقُّ له ذلك؛ فإنَّ المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علومٍ وفنون، وهو رجل بني أيوب وعالمهم بلا مدافعة، ومحاسنه أشهر من أن تُذكر"[10].

والمعظَّم عيسى حنفيُّ المذهب، شديد التعصب لمذهبه، وكان جميع أمراء البيت الأيوبي على المذهب الشافعي [11]. قال له أبوه العادل مَرَّةً: "كيف اخترت مذهب أبي حنيفة، وأهلك كلهم شافعية؟ فقال: يا خوند[12]! أمَا ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم؟"[13]. وهذا يبيِّن لنا شدة تعصب المعظم لمذهبه الحنفي.

كان المعظَّم عيسى في بني أيوب كالخليفة المأمون في بني العبَّاس؛ فقد كان عالمًا فاضلًا أديبًا، برع في الفقه واللغة والنحو [14].

وصنَّف عددًا من المؤلفات، منها:

- شرح الجامع الكبير.
- ديوان شعر.
- مصنَّف في العروض [15].
- السهم المصيب في الرَّدِّ على الخطيب، ألَّفه ردًّا على الخطيب البغدادي؛ لأنَّه ضمَّن في كتابه "تاريخ بغداد" بعض المطاعن على أبي حنيفة [16]. وهو الكتاب الذي اشتهر به المعظم عيسى وذاع صيته بعد تأليفه، وقد ألَّفه وهو خارج البلاد يقاوم الأعداء [17]. والكتاب سهل الأسلوب سلس العبارة، وهو يخلو من مقدمة تحدِّد هدفه وتبيِّن منهجه، ولكنه يدل على واسع علم المعظم، ومقدرته على المناقشة والجدل [18].

قسَّم العادل دولته بين أبنائه قبل وفاته، فأعطى الكامل محمد مصر، والمعظَّم عيسى الشام، والأشرف موسى [19]الجزيرة الفراتية [20][21]، فكانت مملكة المعظَّم متسعة من حدود حمص[22]حتى العريش[23]، ضمَّت دمشق والقدس والكرك[24] والشوبك[25] وصرخد[26][27]، واستمر يحكمها ثماني سنين وسبعة أشهر[28].

توفي المعظم عيسى في دمشق سنة 624هـ/1227م[29]، وذُكر أنَّه مات مسمومًا واتُّهم جماعةٌ بوضع السُّمِّ له[30].

ولما تُوفي المعظم رثاه الشعراء، وممن رثاه ابنُ عنين قائلًا:

يا دهـــرُ ويحـــكَ مـــا عَـــدَا ممَّـــا بَـــدَا أرســـلتَ ســـهمَ الحـــادثاتِ فأقصـــدَا

أغمـــــدتَ ســـــيفًا مـــــرهفًا شـــــفراتُهُ قـــد كـــانَ فـــي ذاتِ الإلـــهِ مـــجرَّدَا

فافعـــلْ بجهـــدِكَ مـــا تشـــاءُ فـــإنَّني بـــعدَ الـــمعظَّمِ لا أُبـــالي بالـــرَّدَى

فافعـــلْ بجهـــدِكَ مـــا تشـــاءُ فـــإنَّني بـــعدَ الـــمعظَّمِ لا أُبـــالي بالـــرَّدَى

مـــا خِلْتُـــهُ يَـــفْنَى وأَبْقَـــى بَـــعْدَهُ يـــا بـــؤسَ عَيْشِـــي مـــا أَمَـــرَّ وأَنْكَـــدَا (31)

المبحث الأول

مرحلة الوفاق بين الكامل محمد والمعظم عيسى

لما تُوفي العادل الأيوبي كانت العلاقة بين الأخوين -الكامل محمد صاحب مصر، والمعظم عيسى صاحب دمشق- حسنة [32]، فقد كان ولاء المعظم عيسى لأخيه الكامل محمد كولائه لأبيه العادل، فقد كان يخطب له على المنابر، ويضرب السَّكَّة باسم "الكامل"، وتعدَّت العلاقة بين الأخوين إلى الوقوف صفًّا واحدًا في وجه الأعداء والمؤامرات التي تحاك بعد وفاة والدهما "العادل"[33].

أمَّا أبرز الأحداث التي أظهرت وقوف الأخوين بصفٍّ واحدٍ أمام أعدائهما، ما يأتي:

أولًا: تكاتف الكامل والمعظم ضد الحملة الصليبية الخامسة.

ثانيًا: ثورة ابن المشطوب.

المطلب الأول: العلاقات بين الكامل محمد والمعظم عيسى إبَّان الحملة الصليبية الخامسة:

كانت استعادة المسلمين لبيت المقدس؛ سببًا في محاولات الصليبيين المتكررة إرسال الحملات للاستيلاء عليها، واتجهت الحملة الصليبية الخامسة إلى مصر؛ وذلك بسبب رغبة المدن الإيطالية التجارية في السيطرة على تجارة البحر الأبيض المتوسط. كما رأى الصليبيون في هزيمة مصر الخطوة الأولى لاستعادة بيت المقدس [34].

اتجهت الحملة الصليبية في جيشٍ ضخمٍ إلى "عَكَّا"[35]أولًا ومنها إلى مصر، وتحديدًا إلى دمياط [36]وحاصروها، وخلَّفوا حامية قوية في "عكا" خوفًا من تعرُّضها لهجوم المسلمين [37].

قصد الصليبيون دمياط سنة 615هـ/1218م، وحاصروها وهم نحو 70 ألف فارس، و400 ألف راجلٍ، فخيَّموا في البرِّ الغربي تجاه دمياط، وحفروا خندقًا حول معسكرهم، وشرعوا في محاولة إسقاط برج دمياط، وكان برجًا منيعًا في سلاسل تمتدُّ على النيل؛ ليمنع السفن الواصلة للبحر الأبيض المتوسط من دخول مياه نهر النيل[38].

وأخذ الصليبيون يحاولون الحصول على "برج السلسلة"؛ ليتمكَّنوا من دخول دمياط والسيطرة عليها، وخرج الكامل محمد بجنده فأقام بالعادلية -قرب دمياط- يحاول منعهم من السيطرة على البرج[39]. وفي هذه الأثناء حدثت ثورة ابن المشطوب، فترك الكامل موقعه واتجه إلى "أشموم طناح"[40]وهمَّ بمغادرة مصر. —وسوف نفصِّل في هذه الثورة، ونذكر دور المعظم في القضاء عليها في موضعه-[41].

بعد مغادرة الكامل سقط البرج بيد الصليبيين؛ ولما وصل النبأ للعادل بسقوط البرج مات من ساعته[42].وصلت الجيوش الصليبية من أوروبا لإمداد إخوانهم المحاصِرين لدمياط، وشدَّد الصليبيون الحصار

على دمياط وتوالت هجماتهم حتى سقطت المدينة. قرَّروا -بعد ذلك- المسير للقاهرة للاستيلاء عليها لكن حدث خلافٌ بين قادتهم [43].

وفي المعسكر الإسلامي كان الأشرف موسى يرفض مساعدة الكامل في الدفاع عن دمياط لخلافٍ كان بينهما [44]، لكن المعظم عيسى كان يحثُّه على مساعدة أخيه، يقول ابن الأثير: " سار -يعني: المعظم- إلى أخيه ببلاد الجزيرة مرَّتين يستنجده على الفرنج، ويحثُّه على مساعدة أخيه الكامل، ولم يزل به حتى أخذه وسار إلى مصر"[45]، كما بعث الكامل شيخ الشيوخ صدر الدين الجويني [46]يستنجد بالخليفة العباسي [47].

قاتَلَ الكاملُ محمد -بجيوشه- الصليبيين، فأسر منهم نحو ألفين، فضاق بهم المقام، فراسلهم الكامل وعرض عليهم الصلح وترك مصر، على أن يعطيهم بيت المقدس والمدن التي فتحها صلاح الدين الأيوبي باستثناء الشوبك والكرك، فرفض الصليبيون الصلح وطلبوا مع بيت المقدس (300 ألف دينار) تعويضًا لما سبَّبه المعظم عيسى عندما هدم أسوار بيت المقدس؛ فرفض المسلمون [48].

بعث المسلمون بعض رجالهم لخرق "سدِّ ترعة المحلَّة"، وكان النيل في معظم ارتفاعه؛ فطافت مياه الترعة حتى أغرقت جميع الأراضي التي تفصل الصليبيين من دمياط؛ فأصبحوا في جزيرة محاطة بالمياه، وعانوا من قِلَّة الطعام، وندموا على رفض المعاهدة مع الملك الكامل [49].

وطلب الصليبيون الصلح ولا يريدون شيئًا سوى خلاص أنفسهم، فاستشار الكامل محمد أخويه -المعظم عيسى والأشرف موسى- فأشارا بقتالهم، أمَّا الكامل فكان يرى أن يقبل الصلح على شروط يفرضونها علي الصليبيين؛ ذلك أن دمياط لا تزال في أيديهم، وأن أعدادهم كبيرة، كما أن جنوده قد مَلُّوا القتال [50]. وترى الباحثة أنَّ رغبة المعظم والأشرف في القضاء على الصليبيين كانت بسبب أنَّهما يخشيان أن يشكِّل هؤلاء خطرًا يهدِّد الشام فيما بعد؛ إذ إن الاستيلاء على مصر يعني ترسيخ سيطرتهم على بلاد الشام[51].

وقد اتفق أبناء العادل بعد وفاة أبيهم-في هذه المرحلة- اتفاقًا حسنًا، ولم يختلفوا في هذا الوقت العصيب، وكان المعظم عيسى والأشرف موسى في خدمة الملك الكامل محمد -أخيهما- يُجِلَّانه ويحترمانه، وكان هذا الاتفاق سببًا في هزيمة الصليبيين [52]. وأنشد راجحٌ الحِلِّي قصيدةً تُبيِّن حالهما مع الكامل محمد؛ إذ يقول:

ونادَى لسانُ الكونِ في الأرضِ رافعًا عقيرتَهُ في الخافقينِ ومُنْشِدَا

أَعُبَّادَ عيسى: إنَّ عيسى وحِزْبَهُ وموسى جميعًا ينصرانِ محمَّدَا[53].

كان للمعظم عيسى دورٌ كبيرٌ في هزيمة الصليبيين، فلولا تحالف المعظم مع الكامل لما انتصر المسلمون ولما نجت دمياط، وكان يقول: "واقعة دمياط أدَّخرها عند الله تعالى، وأرجو أن يرحمني بها"[54].

يقول ابن عينين فيه مادحًا:

يسيرُ بِنَا مِنْ آلِ أَيُّوبَ ماجدٌ ... أَبَى عَزْمُهُ أَنْ يستقرَّ بِهِ مَغْنَى

كريمُ الثَّنَا عَارٍ مِنَ العَارِ باسلٌ ... جميلُ المحَيَّا كاملُ الحُسْنِ والحُسْنَى

لَعَمْرُكَ مَا آياتُ عيسى خفيَّةً ... هِيَ الشَّمْسُ للأَقْصَى سَنًا ولِلأَدْنَى

سَرَى بِنَا نَحْوَ دِمْيَاطَ بكلِّ سميذعٍ[55] ... نجيبٍ يَرَى وِرْدَ الوَغَى المَوْرِدَ[56] الأَهْنَا

فَأَجْلَى عُلُوجَ[57] الرُّومِ عَنْهَا وأُفْرِحَتْ ... قلوبُ رجالٍ حَالَفَتْ بَعْدَها الحُزْنَا[58]

المطلب الثاني: ثورة ابن المشطوب [59]:

إبَّان الحملة الصليبية الخامسة والصراع بين المسلمين والصليبيين ظهر تمرُّدٌ في معسكر الملك الكامل محمد، وزعيم المتآمرين هو الأمير عماد الدين ابن المشطوب، وكان له جماعة من الأكراد الهكارية يتبعونه ويطيعونه [60].

وكانت هذه الثورة باتفاق مع الملك الفائز [61]-أخي الملك الكامل-[62]، وكان الفائز على خلاف مع أخيه الكامل محمد، فلمَّا حجَّ-سنة 620هـ/1223م من القاهرة- قدَّم عَلَمَ الخليفةِ العباسيِّ على عَلَمِ الملكِ الكامل محمد في جبل عرفة [63].

يئس الكامل محمد من القضاء على هذه الثورة في الوقت الذي يواجه جموع الصليبيين، وعزم على ترك مصر والهرب إلى اليمن [64].

كان الكامل محمد يداري ابن المشطوب؛ لكونه كان يواجه الصليبيين في الوقت ذاته، حتى وصل أخوه المعظم عيسى إلى مصر فأطلعه الكامل على تفاصيل المؤامرة، وذكر أنَّ رأس المتآمرين ابن المشطوب [65].

وتمكَّن المعظَّم عيسى من إخراج ابن المشطوب من مصر، فقد ركب المعظم إلى ابن المشطوب، واستدعاه من خيمته فاستمهله ابن المشطوب حتى يلبس ثيابه، فلم يمهله المعظم، وبعد أن أخرجه من المعسكر قال له: "يا عماد الدين، هذه البلاد لك، أشتهي أن تهبها لنا"[66]. وأعطاه نفقة وأمر رجاله بملازمته حتى يخرج من مصر، فاتجه إلى الشام عند الملك المنصور [67]، ثم قُبِض عليه وسُجن في قلعة حرَّان إلى أن مات [68].

كما بعث المعظَّم عيسى أخاه الملك الفائز إبراهيم أيضًا لطلب النجدة بسبب حصار دمياط، وكان الهدف الحقيقي هو إخراجه من مصر، وسار إلى الموصل إلى الملك الأشرف موسى، فأقام عنده شهرًا ومات [69].

وكان الملك الكامل يقول معترفًا -بفضل المعظَّم عليه-: "وهل أنبتَ الشَّعْرَ على رؤوسنا إلا الملك المعظَّم"[70]. ويقول أيضًا: "ومَن حفظ عليَّ البلاد وأحياني بعد الموت غيره. -يشير إلى نوبة ابن المشطوب- "[71].

ويقول أبو شامة عن دور المعظم عيسى: "الملك الفائز...، وكان قد حالفَ ابنَ المشطوب والأمراءَ بمصر على الكامل لمَّا ملك الفرنجُ دمياط، ولولا أخوهما المعظم يمسك ابن المشطوب وينفيه إلى الشرق؛ لتمَّ لهم ما أرادوا"[72]، ويقول الذهبي: "ولولا لطف الله وقدوم المعظم بعد يومين لراحت مصر"[73].

وبعد التخلص من ابن المشطوب استشار الملكُ الكاملُ صفيَّ الدين بن شكر[74] في نفي الأمراء الذين حاولوا الإطاحة به، فكتب لهم في الخروج من مصر إلى حيث شاءوا، فخرجوا إلى الشام[75][76].

وهكذا؛ فقد كانت بين الأخوين الكامل محمد وأخيه المعظم عيسى علاقة يسودها الودُّ، وكان كلٌّ منهما يشعر بحاجته لأخيه، وليس أَدَلَّ على هذا الأمر من مقولة ابن الأثير المعاصر لتلك الأحداث، يقول عن علاقتهما بعد وفاة أبيهما العادل: "واتفقوا اتفاقًا حسنًا، لم يجرِ بينهما من الاختلاف ما جرت العادةُ أن يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم, بل كانوا كالنفس الواحدة، كلٌّ منهم يثق في الآخر بحيث يحضر عنده منفردًا من عسكره، ولا يخافه"[77].

المبحث الثاني

مرحلة الخلاف بين الكامل محمد والمعظم عيسى

قسَّم العادل دولته بين أبنائه، فجعل الكامل محمد نائبًا عنه في مصر، والمعظم عيسى نائبًا عنه في الشام، والأشرف موسى ببلاد الجزيرة الفراتية، واستخلف ابنه الكاملَ ليكون سلطانًا على الجميع مِن بعده [78]. وأصبح العادل يتنقَّل بين أقاليم أولاده، وكانوا يراجعونه في كل أمر إلى أن تُوفي [79].

بدأت الخصومة بين الإخوة بين عامي 620-621هـ/1223-1224م[80]، وهذه مرحلة الخلاف المبطَّن، فكان كلا الأخوين يُبطن خلاف أخيه ورغبته في صراعه، ثم انتقلا إلى المرحلة التالية وهي مرحلة الخلاف المعلن عام 624هـ/1227م، وأظهر الرجلان ما في نفسيهما؛ فخشي الكامل من تحالف أخيه المعظم مع جلال الدين منكبرتي[81]؛ فبعث رسولًا إلى فردريك الثاني[82] ليحالفه[83].

المطلب الأول: أسباب الخلاف بين الكامل محمد والمعظم عيسى:

اختلف المؤرخون حول أسباب هذه الخصومة، فذكروا آراءً عديدة:

1- أطماع المعظم عيسى في توسعة ملكه: لما تُوفي العادل بدأت تظهر أطماع المعظم عيسى، ولعل ما كان منه بعد وفاة أبيه من استيلائه على جميع الأموال التي كانت مع أبيه بعد إخفائه نبأ وفاته؛ زاد من مخاوف الكامل محمد والأشرف موسى [84]. ويرى بعض المؤرخين أنَّ سبب الوحشة الرئيس بين الإخوة هو طمع المعظم في الاستيلاء على "حماة" وإضافتها إلى ممالكه [85]. ولما وصلت الأشرف أنباءُ حصار المعظم عيسى لحماة، وهو في مصر بعد استيلائه على المعرَّة وسليمة [86]، قال للكامل: "إنْ تركنا الملك المعظم يحاصر حماة ويأخذها؛ تعدَّى ذلك إلى غيرها، وأطمعته نفسه بالاستيلاء على البلاد كلها، والمصلحة الإنكار عليه وتهديده وتخويفه من مغبَّة فعله، والتقدُّم إليه بالرجوع إلى بلاده، وأن يسلم بلاد صاحب حماة إليه"[87]. ويبدو لي أنَّ حصار المعظم عيسى لحماة كانت ردَّة فعل على اجتماع الكامل محمد والأشرف موسى في مصر واتفاقهما عليه، كما أنَّه استغلَّ خروج الأشرف من مملكته فهيَّأ له ذلك تنفيذ خططه. وبناءً على نصيحة الأشرف؛ بعث الكامل يطلب من المعظم عيسى الرحيل عن حماة، فاستجاب له المعظم ورحل إلى دمشق "مُغْضَبًا محنقًا على أخويه" - كما وصفه ابن واصل-[88].

ولم يحدث صدام عسكري بين الكامل والمعظم بالرغم من توتر العلاقات بينهما، ولعل الأسباب التي أدَّت لذلك يمكن أن نلخِّصها في النقاط الآتية:

أ- لم يخرج الملك الكامل محمد من مصر لمواجهة أخيه المعظم عيسى وحسم الصراعات بينهما؛ وذلك بسبب

خوفه وعدم ثقته في جنده -خصوصًا بعد ثورة ابن المشطوب-، كما أنَّ المعظم كان قد أوهمه أنَّه إن خرج من مصر أخذه بعسكره [89]. وربما كانت شكوك الكامل في محلِّها فقد ذكر ابن واصل أنَّ جند مصر يميلون إلى المعظم ويحبُّونه؛ لما يعلمونه من قيامه بأمر الجند وعنايته بهم[90].وعلَّل ابن واصل عدم خروج الملك الكامل من مصر لقتال المعظم؛ فقال: "وكان الملك الكامل لا يجسر على الخروج إلى الشام، ويظنُّ أنَّه إنْ خرج إلى الشام؛ انحاز أكثرُ عسكرِهِ إلى الملك المعظم، وحِيلَ بينه وبين الديار المصرية، وكان -واللهِ- الأمرُ كذلك؛ فكان -لذلك- يداريه ويهادنه في الظاهر"[91]. لما أعلن المعظم عيسى العصيان؛ عزم الملك الكامل محمد الخروج لقتاله، فكتب المعظم إلى أخيه رسالتين: إحداهما: لم يظهرها الكامل أمام جنده، قال فيها المعظم: "إني نذرتُ لله تعالى أنَّ كل مرحلة ترحلها لقصدي أتصدَّق بألف دينار؛ فإنَّ جميع عسكرك معي وكُتبهم عندي، وأنا آخذك بعسكرك"، أمَّا الرسالة الأخرى: والتي أظهرها الكامل، فقال المعظم فيها: "إني مملوكك، وما خرجتُ عن محبَّتك وطاعتك، وحاشاك أن تخرج وتقابلني، وأنا أول مَن أنجدك، وحضر إلى خدمتك من جميع ملوك الشام والشرق"[92]. وفي الرسالة الأخيرة يذكِّر المعظم أخاه الكامل بموقفه معه لمَّا حاصر الصليبيون دمياط. قبض الكامل محمد على عددٍ من رجال دولته؛ لاتصالهم بأخيه المعظم، منهم: فخر ألطبنا الحبيشي، وفخر الدين ألطن الفيومي [93].

ب- قلة جند المعظم عيسى، وهم ثلاثة آلاف فارس تقريبًا، مقارنةً بجند الكامل محمد، وهم اثنا عشر فارسًا تقريبًا [94].

ج- لم يجاهر المعظم في البداية بالعصيان، فكان يداري الكامل ظاهرًا، واستمر يخطب له على المنابر دون أن يذكر اسمه معه ويضرب السَّكَّة باسمه [95]. وفي عام 624هـ/1227هـ لمَّا تحالف مع جلال الدين منكبرتي وعلم بتحالف أخيه مع فردريك الثاني؛ قطع الخطبة للملك الكامل وخطب لجلال الدين وضرب السَّكَّة باسمه [96].عاد الأشرف موسى إلى الشام عام 620هـ/1223م والتقى بالمعظم عيسى، فعرض عليه النزول في القلعة، لكن الأشرف رفض ذلك ونزل في جوسق [97]أبيه العادل، ثم رحل الأشرف متجهًا إلى حرَّان دون علم المعظم، ويذكر سبط ابن الجوزي أنَّ المعظم قال له -بعد رحيل الأشرف-: "أمَا عندك خبرُ ما قد شنَّع عليَّ أخي أنَّني أردتُ أن أمسكه، فقد كان في الجوسق، لو أردتُ أن أمسكه أمسكته، واللهِ ما خطرَ لي هذا أبدًا"[98]. وفي ذلك يقول ابن واصل: "وهذا أيضًا من محاسن هذا البيت الأيوبي، ومما تميَّزوا به على مَن تقدَّمهم من الملوك؛ وهو أن يجتمع ملكان عظيمان كلٌّ منهما مالك إقليم عظيم، ويصير أحدهما في قبَّة الآخر وليس معه جندٌ ولا عسكر، ويكون بينهما في الباطن غاية التعادي والتنافس، ثم لا يعدو القاهر منهما على المقهور، بل يطلقه

ليمضي إلى بلاده بعد الإكرام الزائد وإظهار المودَّة والبرِّ الذي ما فوقه مزيد"[99].

ونستنتج -مما سبق- أنَّ المعظم كان يستطيع أن يقبض على أخيه الأشرف فيقتله أو يسجنه، كما أنَّه يستطيع التخلص من أخيه الكامل -كما هدَّده من قبل- عن طريق جنده، لكنه لم يفعل.

2- تحالف الكامل والأشرف ضد المعظم عيسى: ذكر أنَّه من أسباب الخلاف بين الإخوة أنَّ المعظم عيسى لما عاد إلى دمشق بعد الحملة الصليبية الخامسة بقي الأشرف موسى عند أخيه الكامل محمد؛ فشكَّ المعظم عيسى أنَّ أخواه قد اتفقا عليه وأنَّهما أرادا أخذ بلاده [100]. ولعل شكوك المعظم كانت في محلِّها؛ فبعد موته مباشرةً اتضحت مطامع الكامل في اتساع مملكته، خصوصًا أنَّ الناصر داود -ابن أخيه المعظم- كان صغيرًا في السن، واتصل الناصر بعمِّه الأشرف لينجده، لكن الكامل والأشرف اتفقا على انتزاع دمشق من الناصر وأبقوا له الكرك وأعمالها [101].استغلَّ المعظم رحيل الأشرف وسار إلى حماة وحاصرها، فأرسل إليه أخواه ليترك حصارها، فرحل عنها كارهًا، وازداد النفور بين الإخوة [102]. قال ابن كثير: "عاد الأشرف من عند أخيه الكامل صاحب مصر، فتلقَّاه أخوه المعظم -وقد فهم أنَّهما تمالآ عليه-"[103].وحرَّض المعظم عيسى أخاه شهاب الدين غازي -صاحب "ميافارقين"- على عصيان أخيه الأشرف موسى الذي أنابه على "خلاط"[104] لما سافر إلى مصر- وكان وليَّ عهدهِ-, فكتب إليه الأَشرف: "يا أخي لا تفعلْ؛ أنتَ وليُّ عهدي، والبلاد والخزائن بحكمك؛ فلا تخرب بيتك بيدك، وتسمع كلام الأعداء؛ فواللهِ ما ينفعونك". فرفض الطاعة وأظهر العصيان، فجهَّز الأشرف جيشه وحاربه وهزمه [105]. وكان المعظم قد وعد شهاب الدين بأن يخرج من دمشق بجيشه ويتجه إلى البلاد الشرقية وينتزعها من يد الأشرف، لكن الكامل لما علم بذلك بعث إليه يقول: "إن تحركت من بلدك؛ سرتُ إليه وأخذته منك"، فخاف المعظم ورجع دمشق[106].بالرغم من أنَّ المعظم عيسى هو مَن حثَّ الأشرف موسى على مساعدة أخيه الكامل محمد في الحملة الصليبية، فقد تأخر الملك الأشرف عن نجدة أخيه بسبب خلافٍ كان بينهما، فخرج الملك المعظم بنفسه وأرضاه واصطحبه إلى مصر[107]، وبعد عودة المعظم إلى الشام بقي الأشرف عند الكامل وتصافت القلوب فاتفقا على المعظم[108].وقد كتب الملك الكامل إلى أمراء البيت الأيوبي في بلاد الشام بالدخول في خدمة الأشرف[109].

3- محاولة الخليفة الناصر لدين الله بثَّ الخلافات بين الإخوة: ومن أسباب الخلافات أيضًا محاولة الخليفة العباسي الناصر لدين الله بثَّ الخلافات بين الإخوة، ولعل هذه الميزة هي مما تفرَّد فيها هذا الخليفة مع جميع أعدائه، فقد غضب الناصر لدين الله مما فعله ولدُ الكامل -صاحبُ اليمن- بمكة؛ لمَّا استهان بأمير الحج العراقي؛ فراسلَ مظفَّرَ الدين كوكبري -صاحبَ إربل- والذي كان على خلاف مع الأشرف، فاتفقا على مراسلة المعظم وتهويل ما حدث من أخويه، فمال المعظم إليهما[110].أيضًا انزعج الناصر لدين الله من تحالف

المعظم عيسى مع جلال الدين منكبرتي، والذي أراد الاستيلاء على بغداد؛ فقد سار إلى "بعقوبا" وسيطر عليها -وكان بينها وبين بغداد سبعة فراسخ-[111].

4- الصراع بين الكامل محمد والمعظم عيسى نوع من صراع الأقران بعضهم البعض: الأقران دائمًا -وعلى مرّ التاريخ- كان بينهم تنافس، سواءٌ: الطعن في بعضهم إن كانوا من العلماء، أو الصراع والتنافس والقتال إن كانوا من الملوك والأمراء، ويُطلعنا التاريخ على نماذج عديدة من هذا القبيل.كان الكامل محمد والمعظم عيسى من الأقران، يقول الذهبي عن الملك الكامل: "وُلد في سنة ست وسبعين وخمس مائة، فهو من أقرانِ أخويه المعظم والأشرف، وكان أَجَلَّ الثلاثةِ وأرفعَهم رتبةً"[112].

5- تحريض الملك المسعود أقسيس بن الكامل أباه على الاستيلاء على بلاد الشام [113]، فقد قَدِم أقسيسُ بنُ الكامل من اليمن إلى مصر عام 621هـ/1224م طامعًا في أن يعطيه أبوه دمشق، وقدَّم الكثير من الهدايا للكامل، منها: ثلاثة فيلة ومائتا خادم[114]. وبعد وفاة عمِّه المعظم عام 624هـ/ 1227م، وانتزاع أبيه دمشق من الناصر داود، خرج أقسيس من اليمن ليسأل والده الكامل منحه دمشق، لكنه تُوفي في مكة قبل وصوله [115].

6-طبيعة تكوين الدولة الأيوبية، فقد التزمت الدولة بالنظام القائم على تقسيم المملكة بين أبناء السلطان بعد موته، فأصبح كلُّ ابن منطقة أو مدينة هو الملك عليها. ولما تُوفي العادل خلَّف سبعة عشر ولدًا، لكلٍّ منهم مدينة يحكمها، ودخل بعض أبناء العادل الصغار في طاعة إخوتهم الكبار: الكامل والمعظم والأشرف، فأصبح لكلٍّ منهم حزبٌ واجَهَ به إخوته لتحقيق مطامعه [116].

المطلب الثاني: نتائج الخلاف:

1- التنازل عن "بيت المقدس": كان تنازل الكامل عن بيت المقدس أحد نتائج الخلاف بين الأخوين، فلمَّا تحَالَفَ المعظَّمُ عيسى مع الدولة الخوارزمية[117]؛ وَجَدَ الكاملُ نفسه بحاجة إلى معونة خارجية؛ فبعث رسولًا- هو فخر الدين يوسف- إلى الإمبراطور فردريك الثاني يدعوه أن يحضر لمساعدته في الشام, وتعهَّد -مقابل ذلك- بأن يعطيه "القدس". ولعل ما ذكره سبط ابن الجوزي يبرهن على هذا، فيذكر أنَّ الأشرف لمَّا عَلِم أخذ يلوم الكاملَ على تفريطه بالقدس، فقال الكامل: "ما أحوجني إلى هذا إلا المعظم"[118]. ويتبيَّن لنا -هنا- أنَّ تحالف الكامل مع الإمبراطور فردريك وتنازله عن "بيت المقدس"؛ كان بسبب خشيته من مطامع أخيه المعظم [119]. إنَّ وجه الخطورة في النزاع بين الكامل وأخيه المعظم هو استعانتهما بقوى خارجية؛ فقد وصلت العلاقة بينهما إلى طريق مسدود كان لابد معه من أن يلجأ كلٌّ منهما إلى من يحمي مملكته، فلمَّا استنجد المعظَّمُ

عيسى بجلال الدين منكبرتي؛ استنجد الكاملُ-بدوره- بالإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية في غرب أوروبا[120].عَمِدَ المعظَّمُ سنة 616هـ/1219م إلى هدم أسوار بيت المقدس؛ حتى لا يستولي عليه الصليبيون، فقد بلغه -أثناء حصار دمياط- أنَّ جماعة من الصليبيين يريدون الاستيلاء على القدس؛ فهدمَ أسوارَ القدس وأبراجَها كلَّها إلا "برج داود", ونقل ما كان في القدس من أسلحة[121]. ولمَّا عرض الكاملُ الصلح على الصليبيين وتسليمهم بيت المقدس -أثناء حصارهم دمياط- رفضوا ذلك، وطلبوا القدس وخمسمائة ألف دينار لتعمير أسواره التي هدمها المعظم[122].

وذمَّ الشعراءُ المعظَّمَ عيسى -لفعلتهِ تلك-، فقال مجد الدين الحنفي:

مـــررتُ عَلَـــى القُـــدْسِ الشَّـــريفِ مُسَـــلِّمًا ... عَلَـــى مـــا تَبَقَّـــى مِـــنْ رُبُـــوعٍ كـــأَنْجُمِ

ففـــرَّتْ دمـــوعُ العَـــيْنِ مِـــنِّي صَـــبَابَةً ... عَلَـــى مـــا مَضَـــى مِـــنْ عصـــرِنا المتقـــدِّمِ

وقَـــدْ رامَ علـــجٌ أَنْ يُعفِّـــي رُسُـــومَهُ ... وشَمَّـــرَ عَـــنْ كَفَّـــي لئـــيمٍ مُـــذَمَّمِ

فقلـــتُ لـــه: شُـــلَّتْ يمينُـــكَ خَلِّهـــا ... لِمُعْتَـــبِرٍ أو ســـائلٍ أو مســـلِّمِ

فَلَـــوْ كـــانَ يُفْـــدَى بالنُّفُـــوسِ فَدَيْتُـــهُ ... بِنَفْسِـــي وهَـــذَا الظَّـــنُّ في كـــلِّ مســـلمِ[123].

خرج الملك الكامل-بعد وفاة أخيه المعظم- إلى الشام؛ للاستيلاء على دمشق، فعَلِم بقدوم الإمبراطور فردريك الثاني، وتردَّدتْ بينهم السفارات، فاتفق على تسليم بيت المقدس[124].استقبل الإمبراطور فردريك الثاني سفارة الكامل أحسن استقبال، وردَّ على الكامل بسفارة مماثلة محمَّلة بالهدايا, فتلقَّى الكامل هدية الإمبراطور بالسرور، وأعد هديةً فاخرة للإمبراطور. وفي طريق عودة السفارة الإمبراطورية إلى الغرب، مرَّت بدمشق، والتقى السفير بالمعظم عيسى، وطلبوا منه تسليم بيت المقدس للإمبراطور، ولكنَّ المعظم غضب وأساء استقبال السفير وأغلظ له وقال: "قُلْ لصاحبكَ: ما أنا مثل الغير، ماله عندي سوى السيف"[125]. لما وصل الإمبراطور فردريك الثاني إلى الشام، كان المعظم قد تُوفي؛ فلم يكن هناك حاجة للتنازل عن بيت المقدس، وكان الإمبراطور في موقف صعب؛ فقد خرج من بلاده محرومًا من الكنيسة، مغضوبًا عليه من البابوية[126], وتردَّدَ الكاملُ محمد -في بداية الأمر-؛ فهو من جهة: لم يعد بحاجة لدعم الامبراطور -كما ذكرنا سلفًا-، لكنه من جهة أخرى: كان قد اتفق معه على إعطائه القدس، يقول ابن واصل: "لم يمكنه دفعه ومحاربته؛ لِمَا تقدَّم بينهما من الاتفاق"[127]. في البداية رفض الكاملُ تسليم بيت المقدس، وذكر أنَّ هذا العمل سيؤذِي مشاعر المسلمين ويؤدِّي إلى معارضة شديدة لسياسته؛ فلجأ فردريك إلى استعطاف الكامل، فوافق الكامل على عقد "اتفاقية يافا" سنة 626هـ/1229م[128]. ويبدو أن الكامل خشي قيام الصليبيين بعمل عسكري ضدَّه؛ لا سِيَّما بعد

قيام الإمبراطور فردريك بتحصين "صَيْدَا"[129].[130].كان وقعُ تسليم الكامل لبيت المقدس مدويًّا، يقول سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان": "ووصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج؛ فقامت القيامة في بلاد الإسلام، واشتدَّت العظائم؛ بحيث إنَّه أُقيمت المآتم"[131].ويقول في موضع آخر: "وخرج النساء الْمُخْدِرات والبنات والشيوخ والعجائز، والشُّبَّان والصِّبيان إلى الصخرة والأقصى، فقطَّعوا شعورهم ومزَّقوا ثيابهم؛ بحيث امتلأت الصخرة ومحراب الأقصى من الشعور، وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأثقالهم، وما شكَّوا أنَّ الفرنج تُصبِّحهم، وامتلأت بهم الطرقات، فبعضهم إلى مصر, وبعضهم إلى الكرك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخْدِرات يمزِّقنَ ثيابهنَّ ويربطنها على أرجلهنَّ من الحَفَا، ومات خلقٌ كثيرٌ من الجوع والعطش"[132]. وهكذا فقد أدَّى هذا الصراع بين الأخوين إلى التنازل عن مقدَّسات الأُمَّة لتحقيق مصالحهم الشخصية [133]؛ فإن أخطر قضية من الممكن أن تؤدي إلى الاستسلام للعدوِّ والتنازل والخيانات هي التمزق والتفرق والتنافر والتنازع[134].

2- حِلْفُ المعظم عيسى وجلال الدين منكبرتي ومظفر الدين كوكبري: بعث المعظم سنة 621هـ/1224م رجلًا صوفيًّا رسولًا لجلال الدين منكبرتي لمواجهة أخويه الكامل والأشرف [135]. وهذا الرسول هو الصدر بكري، بعثه سرًّا حتى يتفق معه على أخويه، وفي هذه الفترة كان الجراد قد ظهر في بلاد الشام، وأضرَّ بالمحاصيل الزراعية، فأظهرَ المعظَّمُ أنَّ ببلاد العجم طيرًا يقال له "السمرمر"[136]يأكل الجراد، وبعث "الصَّدْرَ بكري" ليجلبه, لكنه -في الحقيقة- بُعث ليلتقي بجلال الدين منكبرتي[137].وحتى يؤكد المعظَّمُ تحالفه مع جلال الدين؛ زوَّجه إحدى بناته، لكنها لم تُحمَل إليه وتُوفِّيت بعد وفاة المعظَّم[138].ويبدو من حكاية "السمرمر" أن المعظَّم كان يحاول عقد هذا التحالف بسرِّيَّة تامَّة؛ ذلك أنه -ما زال- لم يجاهر بعداء أخيه الكامل محمد, فما زال الاختلاف بينهما مبطَّنًا؛ لذلك حاول إيهام أخويه والناس بهذه القصة, خاصة أنه لم يكن واثقًا من استجابة جلال الدين لطلبه. كما حَالَفَ المعظَّمُ عيسى مظفَّرَ الدين كوكبري، ففي عام 621هـ/1224م بعث المعظَّمُ ابنه الملك الناصر داود [139]إلى "إربل" ليلتقي عمَّته ربيعة خاتون[140]زوجة مظفَّر الدين, وكان يهدف للتحالف مع مظفَّر الدين[141]. وقيل إنه إنما بعث الناصر داود إلى "إربل" رهينةً حتى تطمئنَّ نفسُ مظفَّر الدين ولا يساوره الشَّكُّ في تخلِّي المعظَّم عنه [142]. اتفق المعظَّمُ عيسى ومظفَّر الدين كوكبري[143]صاحب "إربل" وجلال الدين منكبرتي، ونصَّ اتفاقُهم على أن يقصد مظفَّر الدين "الموصل", وجلال الدين "خلاط", والمعظَّم عيسى يتجه لحمص وحماة[144].وجدت دعوة المعظَّم قبولًا؛ فيخرج مظفَّر الدين كوكبري إلى "الموصل" لحصارها، مستغلًّا أن بدر الدين لؤلؤ بعث أكثر جنده لنصرة الأشرف الذي كان يقاتل -في الوقت نفسه- أخاه شهاب الدين غازي؛ فقلَّ عددُ الجند فيها, وكان الغلاء شديدًا بسبب كثرة الجراد، وتأثرت المحاصيل الزراعية، فحاصرها عشرة أيام ثم رحل عنها؛ وكان سبب رحيله قوة المدينة وكثرة الآلات الحربية[145].وحسب رواية ابن الوردي أنَّ المعظَّم

هو من اتصل أولًا بجلال الدين منكبرتي قبل اتصال الكامل بالإمبراطور فردريك الثاني، يقول ابن الوردي: "لمَّا تحقَّق الكاملُ اعتضادَ أخيهِ المعظَّم لجلال الدين؛ خاف من ذلك، وكتب إلى الإينروز -ملك الفرنج- أن يَقْدُمَ إلى "عكا" ليشغل المعظَّمَ عمَّا هو فيه، ووعده بالقدس, فسار الإينروز إلى "عكا"، وبلغ ذلك المعظَّمَ؛ فكاتَبَ الأشرفَ واستعطفه"(146).

وهكذا؛ فقد وصلت العلاقات بين الأخوين إلى نقطة خطيرة جدًّا، فالمعظَّم -بتحالفه مع جلال الدين منكبرتي- زاد من أطماع جلال الدين في بلاد الشام والجزيرة؛ وأصبح الكامل لا يستطيع إرسال المساعدات للأشرف بسبب منع المعظَّم المساعدات القادمة من مصر، بل إنَّ الكامل تحالفَ مع الصليبيين في الوقت الذي كان يجب على الإخوة التحالف للقضاء عليهم (147).

المبحث الثالث

موقف الخليفة العباسي من الصراع بين الكامل محمد والمعظم عيسى

حاول الخليفة العباسي -في بداية الصراع بين الإخوة- أن يقف على الحياد. ورغم أنَّ سلطة الخليفة العباسي على بلاد الشام كانت اسميَّةً-آنذاك-؛ فإنَّ الإخوة حرصَ كلٌّ منهم على الحصول على اعتراف الخلافة بمملكته.

كانت علاقة الكامل محمد بالخليفة العباسي الناصر لدين الله علاقة ودِّيَّة في بداية عهده، وبما أنَّ الكامل محمد كان ممثِّل الخليفة العباسي في مصر؛ فقد حرص على الحصول على دعمه في صراعه مع الصليبيين، فعندما حاصر الصليبيون دمياط سنة 615هـ/1218م بعث الكاملُ بشيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر بن حمويه إلى الخليفة الناصر لدين الله يستنجده، فلم ينجده الناصر بجندٍ من عنده، لكنه بعث إلى سائر ملوك الأطراف يطلب النجدة[148].

ساءت العلاقة بين الكامل محمد -صاحب مصر- والخليفة الناصر لدين الله سنة 619هـ/1222م بسبب حادثة ابنه أقسيس بن الكامل[149] الذي حجَّ بالناس من اليمن فارتكب في مكة فظائع عدة، منها: أنه كان ينام في دار الإمارة بعد شربه الخمر، ويأمر جنده بضرب الطائفين في المسعى حتى لا يشوِّشوا عليه، كما كان يرشق حَمَامَ المسجدِ الحرام بالبندق[150] مِن أعلى قبَّة زمزم[151].

ورفض أقسيس أن يرفع أميرُ الحاجِّ العراقي عَلَمَ الخليفة على جبل عرفات، وقال لجنده: "إنْ أطلع البغادةُ عَلَمَ الخليفةِ؛ فاكسروه وانهبوهم". ووقفوا تحت الجبل يمنعون الحجاج العراقيين ويتعرَّضون لهم، فبعث ابنُ أبي فراس -أمير الحجِّ العراقي- أباه -وكان شيخًا كبيرًا- إلى أقسيس، وأخبره بوجوب طاعة الخليفة وشناعة ما يفعله". واختُلف: هل أذن أم لم يأذن برفع العَلَم؟. وكان في موقف ابن الكامل هذا إهانة للخليفة الناصر لدين الله[152]؛ لذلك راسلَ الخليفةُ العباسي مظفَّرَ الدين كوكبري -صاحب "إربل"- واتفقا على مراسلة المعظَّم ، وتهويل ما حدث من أخويه[153].

وفي العام التالي سنة 620هـ/1223م سار أقسيس من اليمن إلى مكة المكرمة، فقاتَلَ الحسنَ بن قتادة[154] ببطن مكة بين الصفا والمروة، فانتصر أقسيس؛ وبذلك انتزع مكة وضمَّها لليمن[155]، ومن المعروف ما للحرمين من أهمية لدى الخلافة العباسية؛ لذلك كان لهذا الأمر أثره على علاقة الكامل محمد بالخليفة العباسي.

وفي العام ذاته حجَّ الملكُ الكاملُ محمد من مصر، وتأدَّبَ مع أمير الحج العراقي، وقَدَّمَ عَلَمَ الخليفةِ العباسي؛ فرُفِعَ قبلَ عَلَمِهِ على جبل عرفات[156].

أما في عهد الخليفة العباسي -الظاهر بأمر الله[157]- لمَّا علم بتحالف المعظَّم عيسى وجلال الدين منكبرتي؛ بعث إليه رسولًا هو محيي الدين ابن الجوزي ومعه الخِلَع له ولإخوته[158]، ومعه أيضًا رسالة يحثُّه فيها على الرجوع عن هذا الحِلْف؛ إذ يقول: "المصلحة رجوعك عن هذا الخارجيّ إلى إخوتك, ونُصلح بينك وبين إخوتك"، فردَّ عليه المعظَّمُ بأن سأله "إذا رجعتُ عن الخوارزمي وقصدني إخوتي تنجدوني؟. قال: نعم. قلت:مالكم عادةٌ تُنجدون أحدًا، هذه كتبُ الخليفة الناصر عندنا -ونحن على دمياط- ونحن نكتب نستصرخ به، ونقول: "أَنْجِدْنا". فيجيء الجواب بأن قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا، وقد اتفق إخوتي عليَّ، وقد أنزلتُ الخوارزميَّ على "خلاط"، إنْ قصدني الأشرفُ؛ منعه الخوارزميُّ، وإنْ قصدني الكاملُ؛ كان فيَّ له"[159]. إنَّ موقف المعظَّم هذا يوضح لنا مدى الضعف الذي وصلت إليه الخلافة العباسية؛ حيث إنها لم تكن تملك القوة التي تُجبر بها المعظَّم عيسى على الانصياع لأوامرها [160]. كما أن المعظَّم رفض عرض الخليفة بالإصلاح بينه وبين إخوته؛ لأنه كان يخشى أن ينصاع لأوامر الخليفة؛ فيتراجع عن تحالفه مع جلال الدين؛ فيُطمع هذا إخوته فيه، ولا ينصره الخليفةُ ضدَّهم[161].

أراد جلال الدين الخوارزمي قَصْدَ"بغداد" والاستيلاء عليها، وذكر أنَّ هدفه هو الانتقام لأبيه الذي أهلكه الناصر لدين الله -كما يزعم-، فبعث إلى المعظَّم يستدعيه لقتال الخليفة، لكنَّ المعظَّم رفض ذلك[162].

ويذكر الدواداري تفاصيل الكتاب الذي أرسله جلال الدين للمعظَّم فيقول: "قال أبو المظفَّر: حكى لي الملكُ المعظَّمُ قال: كتبَ إليَّ جلالُ الدين يقول: "تحضرُ أنتَ وجميعُ مَن عاهدني واتفق معي، حتى نقصد الخليفة، فإنَّه كان السبب في هلاك السلطان علاء الدين -أبي-، وجَسَّرَ التَّتَارَ لدخول البلاد، وصَغَّرَ عندهم أَمْرَ المسلمين حتى أخربوا الدنيا"، قال المعظَّم: فكتبتُ إليه أقول: "أنا معك على كلِّ أحدٍ إلا الخليفة؛ فإنَّه إمامُ المسلمين"[163]، وهكذا فإنَّ المعظَّم عيسى كان يرفض قتال الخليفة العباسي؛ وذلك حتى لا يفقد حكمه الصبغة الشرعية، فقد حرص على تجديد ولائه للخلفاء العباسيين

كان المعظَّم يدرك أنَّ الخلافة العباسية لن تُقدِّم له المساعدة في قتاله ضدَّ أخويه بسبب ضعفها العسكري والاقتصادي آنذاك، لكنه--أيضًا- لم يكن ينوي كسب عداء الخلافة وقتال الخليفة العباسي ومواجهته[164].

المبحث الرابع

دور الملك الأشرف في الصراع بين الكامل والمعظم

منحَ العادلُ ابنه "الأشرفَ" الجزيرة الفراتية قبل وفاته، ومنحَ ابنه "المعظَّمَ عيسى" بلاد الشام، فأصبحت ممتلكاته على حدود ممتلكات أخيه المعظَّم عيسى؛ فكان لابد من التنافس بينهما على بعض المناطق الحدودية.

وقد ازداد طمع الأشرف في تملُّك دمشق[165], وكان لهذه المطامع دورٌ كبيرٌ في علاقته بأخويه وفي تحريض الكامل ضدَّ أخيه المعظَّم[166]، وتولدت الرغبة لدى الكامل -بدوره- في انتزاع دمشق من المعظَّم؛ بدليل ما فعله بعد وفاته مباشرةً, فقد اتجه إلى بلاد الشام واستولى على دمشق من الناصر داود, ومنحها للأشرف[167]. ولعل هذا ما كان يخشاه المعظَّمُ عيسى -من قبل- لمَّا شكَّ بتحالف أخويه ضدَّه؛ فقد كان يعلم مطامع الأشرف في مملكته.

ونتعجَّب من موقف الكامل محمد من أخويه, ومحبَّته وتفضيله للأشرف موسى, بالرغم من أفضال المعظَّم عيسى عليه، فقد حافَظَ له على مُلكه لمَّا تخلَّص من ابن المشطوب وأخرجه من مصر[168]، وكان الكامل -في أثناء هذه الثورة- قد همَّ بالخروج من مصر والتخلِّي عنها والاتجاه إلى اليمن[169]، بينما الأشرف قد تأخر في القدوم إلى دمياط لنجدة الكامل، بل إنَّ المعظَّم اتجه بنفسه إلى الجزيرة الفراتية يستنجده[170]، يقول سبط ابن الجوزي: "كان المعظَّم مِن أحرص الناس على خلاص دمياط من الغزاة، وكان مُصافيًا لأخيه الكامل، وكان الأشرف مقصِّرًا في حق الكامل، مُبَايِنًا له في الباطن"[171].

وكتب الكامل للأشرف أبياتًا يوم دمياط يحثُّه على سرعة الحضور لنجدته يقول:

يا مُسْعِدِي إنْ كنتَ حَقًّا مُسْعِفِي ... فانْهَضْ بغيرِ تَلَبُّثٍ وتَوَقُّفِ

واحْثُثْ قَلُوصَكَ مُرْقِلًا أو مُوجِفًا ... بِتَجَشُّمٍ في سَيْرِها وتَعَسُّفِ

واطْوِ المنازلَ ما استطعتَ ولَا تُنِخْ ... إلَّا عَلَى بابِ المليكِ الأشرفِ

واقْرَ السَّلَامَ عليهِ مِنْ عبدٍ لَهُ ... متوقِّعٍ لقدومِهِ متشوِّفِ[172].

بعد التخلص من الصليبيين، بقي الأشرف موسى في مصر ثمانية أشهر، فتحالفَ الأشرفُ مع الخليفة الكامل ضدَّ أخيه المعظَّم[173].وإبَّان وجود الأشرف موسى في مصر، تُوفي الملك المنصور[174] صاحب "حماة" عام 617هـ/1220م -وكان قد أوصى أن يليه ابنه الكبير الملك المظفَّر[175] الذي كان في مصر للدفاع عن دمياط-؛ فانتهز أخوه الملكُ الناصرُ قليج أرسلان[176]-هذا- واستولى على "حماة" وكتبَ إلى الأشرف أنَّه داخلٌ في طاعته ويخطب له على المنابر, فأقرَّه الأشرفُ على "حماة"[177].

كان الملك الأشرف صاحب شخصية قوية؛ بدليل تأثيره على الملك الكامل؛ بإبقاء "حماة" بيد الملك الناصر، وإجبار المعظَّم على الانسحاب من المناطق التي استولى عليها[178].

سار جلال الدين الخوارزمي -بعد تحالفه مع المعظَّم عيسى- إلى "خلاط" للاستيلاء عليها، فلم يتمكَّن من ذلك، ودافعَ عنها أهلُها فقاتلوا الخوارزميَّ قتالًا عظيمًا؛ واضطرَّ جلالُ الدين للانسحاب بسبب تمرُّد نائبه في "كرمان"[179].

وقيل: إنَّ سبب انسحابه أنَّ الأشرف موسى قَدِمَ على أخيه في دمشق طالبًا الصلح، وأن يكتب المعظَّم عيسى لجلال الدين ليرحل عن "خلاط"؛ فكتبَ له؛ فخرج تاركًا "خلاط"[180]، وصالحَ المعظَّمُ الأشرفَ ظاهرًا، وأَسَرَهُ في الباطن، فقد بقي الأشرفُ لدى المعظَّم كالأسير عشرة أشهر[181]، ولم يطلقه المعظَّمُ عيسى حتى تعهَّد له أن يحالفه ضدَّ أخيه الكامل محمد وعلى صاحبي حماة وحمص. كان الأشرف كالتابع للمعظَّم لا يملك من أمرهِ شيئًا، وقد ندم على قدومه دمشق، فيصف ابنُ واصل حاله، فيقول: إنَّه كان "كالتَّبَّع للملك المعظَّم؛ لا يمكنه أن ينفرد عنه بأمرٍ، ولا يتجاسر -لكونه في قبضته كالأسير عنده- على مخالفته في قليلٍ ولا كثير، ولا يتأتَّى له الانفرادُ عنه بسرٍّ"[182]. ولمَّا عاد الأشرف موسى إلى بلاده تأوَّل أيمانَهُ-التي حلفها للمعظَّم عيسى- بأنَّها يمينُ مُكْرَهٍ[183]، ونَدِمَ المعظَّمُ عيسى على السماح للأشرف بالرحيل عنه[184].

وكان المعظَّم -أثناء وجود الأشرف في دمشق- يلبس خلعة جلال الدين منكبرتي، ويركب فرسه، وإذا تكلَّم مع الأشرف حَلَفَ بحياة رأس جلال الدين؛ فتألَّمَ الأشرفُ من ذلك[185].

كان الأشرف صادق الولاء لأخيه الكامل؛ فقد تحالفَ معه ضدَّ المعظَّم عيسى -بعد وفاة أبيه العادل، وتحرير دمياط من الصليبيين-، وبعد أن قَبَضَ عليه المعظَّمُ وأجبره على أن يتعهَّد له بالمساعدة في الاستيلاء على حمص وحماة ثم مهاجمة أخيهما الكامل، وما كاد أن يُفلت من يد المعظَّم عيسى حتى راسَلَ الكاملَ وأكَّدَ تحالفه معه[186].

وكان هدف الأشرف -من تحالفه مع الكامل- الحصولَ على دمشق، بينما كان هدف أخيه الكامل الحدَّ من نفوذ المعظَّم عيسى.

الخاتمة:

تناول البحث العلاقة بين "الكامل محمد" وأخيه "المعظَّم عيسى" في الفترة (615-624هـ/1218-1227م)؛ ومِنْ ثَمَّ تم رصد عدد من النتائج، لعل أبرزها ما يأتي:

- مهَّد تقسيمُ العادل لمملكته بين أبنائه للنزاع والخلاف، والذي لم يظهر جليًّا إلا بعد وفاته. فبعد وفاة العادل

مباشرةً كانت العلاقة ودِّيَّة بين الإخوة واستمرَّت هكذا عدة سنوات وحظيت بمدح المؤرخين.

- كان الإخوة يُؤْثرون مصالحهم الشخصية على مصلحة الدولة؛ لذلك استمرَّ هذا النزاع حتى وفاة المعظَّم.

- كان الكامل محمد يدرك ما للقدس من أهمية في نفوس المسلمين، وما كان له أن يُقْدِم على هذه الخطوة المتمثِّلة في تسليمها للصليبيين؛ إلا بعد أن أصبح متيّقنًا مما يمثِّله أخوه المعظَّم من خطرٍ عليه.

- كان الخلاف بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى السبب المباشر في تسليم القدس للإمبراطور فردريك الثاني، وكأنه أحد الأملاك الشخصية.

- تآمُرُ الكامل محمد والأشرف موسى -بعد وفاة المعظَّم عيسى- على ابنه الناصر داود وانتزاع دمشق؛ أكبر دليل على أن المعظَّم كان مدركًا تمامًا لأهداف أخويه.

- إن العلاقة بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى قد مرَّت بمرحلتين، امتدَّت المرحلة الأولى من سنة 615هـ-1218م حتى سنة 618هـ/1221م، كانت فيها العلاقة بين الطرفين علاقة جيِّدة اتَّسمت بالوفاق والوقوف إلى جانب بعضهم البعض في مواجهة الأعداء. أما المرحلة الأخرى: فقد امتدَّت من سنة 619هـ/1222م حتى سنة 624هـ/1227م، وقد اتَّسمت بالخلاف وتوتُّر العلاقات بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى؛ وقد تمخَّضت تلك الخلافات عن الأحلاف التي أقامها كلٌّ منهما مع أطراف خارجية.

- كان للأشرف موسى دورٌ كبيرٌ في الخلافات التي وقعت بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى؛ فالمتأمل يرى كيف أنه قد استمرَّ في تحريض الكامل ضدَّ المعظَّم عيسى حتى يحقِّق أهدافه.

- على الرغم من العداء بين الكامل محمد والمعظَّم عيسى، فإنه لم يقع قتال بينهما، ولعل وفاة المعظَّم عيسى سبقت ذلك.

- يُعَدُّ كلٌّ من الكامل محمد والمعظَّم عيسى مِن أعظم حكام المسلمين وسلاطين بني أيوب، ونزاعهما كان وبالًا على المسلمين الذين كانوا -في تلك الفترة- يواجهون تحدِّيات خارجية مختلفة، ولعل واقعة دمياط أكبرُ دليلٍ على مقدرة هذين الرجلين وكفاءتهما في مواجهة الصليبيين، لكن خسر العالم الإسلامي -بسبب هذا النزاع والصراع- الشيء الكثير، فلو صرفا جهودهما في قتال الصليبيين؛ لكان خيرًا للمسلمين.

حواشي البحث:

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ)، (1985م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة،بيروت، ج22، ص128.

(2) الملك العادل: هو أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذي بن مروان، أخو السلطان صلاح الدين، خرج مع أخيه صلاح الدين وعمه أسد الدين شيركوه إلى مصر، كان ينوب عن أخيه في بلاد الشام عند غيابه، بعد وفاة صلاح الدين حدث نزاع بينه وبين أبنائه فانتزع مصر والشام واستقل بها وقسَّمها بين أبنائه، توفي سنة 615هـ (ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت681ه)، (1990م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5،ص74-78) .

(3) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845ه)،(1997م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص265.

(4) المقريزي، السلوك،ج1، ص313.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص81.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22،ص130-131؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص380.

(7) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22،ص121.

(8) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748ه)، (1985م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3،ص194.

(9) انظر: سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزأوغلي (ت 654ه)، (2013م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، بيروت، ج22،ص285-289.

(10) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874ه)، (1963م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، مصر، ج6، ص268.

(11) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ)، (1957م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية- المطبعة الأميرية، مصر، ج4، ص211.

(12) "خوند" -في الفارسية- تعني: السيد العظيم أو الأمير، استُعملت في العربية لقبًا بمعنى: السيد أو السيدة. (دهمان، محمد أحمد، (1990م)، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ص70).

(13) المقريزي، السلوك،ج1، ص346.

(14) ابن عنين، شرف الدين محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي (ت630ه)، (د.ت)، ديوان ابن عنين، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ص14.

(15) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص122.

(16) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص212.

(17) الندوي، علي أحمد، (2014م)، "الملك المعظم عيسى الأيوبي 576–624هـ لمحات من حياته وأضواء على كتابه في قواعد الفقه "أصول الجامع الكبير"، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مصر، المجلد الرابع، العدد الثاني والثلاثون، ص296.

(18) الندوي، علي أحمد، (2014م)، "الملك المعظم عيسى الأيوبي 576–624هـ: لمحات من حياته وأضواء على كتابه في قواعد الفقه "أصول الجامع الكبير"، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج 4، ع32، ص296.

(19) الأشرف: هو الأشرف موسى بن العادل سيف الدين أبو بكر، كان نائبًا للعادل على الرها ثم أُضيفت له حران، ولما توفي أخوه الأوحد أخذ خلاط وميافارقين، ثم ضم دمشق إلى مملكته بعد وفاة أخيه المعظم، كان محبوبًا من الناس، توفي سنة 635هـ/1237م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص330–333).

(20) الجزيرة الفراتية: يطلق مصطلح "الجزيرة" على المنطقة المحاطة بالمياه من جميع الجوانب؛ ولذلك سُميت المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات "شمال السواد" باسم "الجزيرة الفراتية"، ولم تقتصر حدود المنطقة على ما بين الضفة الشرقية لنهر الفرات، والضفة الغربية لنهر دجلة، فقد امتدت أحيانًا لتشمل بعض المدن على الضفة الأخرى للنهرين مثل: أرزن وميافارقين والرحبة وبالس. (الوريكات، هالا، (2001م)، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ص11).

(21) الذهبي، العبر، ج3، ص167.

(22) حمص: بلد قديم كبير مشهور في بلاد الشام، وفي طرفه القبلي قلعة كبيرة حصينة على تلٍّ عالٍ، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. (ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت626ه)، (1995م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج2، ص302).

(23) العريش: مدينة جليلة من أعمال مصر. يُذكر أنَّ إخوة يوسف توقفوا فيها في طريقهم لمصر فبنوا عريشًا يستظلون به فسُمِّي الموضع "العريش". (القزويني، زكريا بن محمد (ت 682ه)، (د.ت)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص221).

(24) الكرك: اسم لقلعة حصينة جدًّا في طرف الشام، من نواحي البلقاء. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص453).

(25) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمَّان وأيلة والقلزم قرب الكرك. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص370).

(26) صرخد: بلد ملاصق لحوران، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص401).

(27) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3،ص495.

(28) المقريزي، السلوك، ج1، ص346.

(29) الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج22،ص122.

(30) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص289.

(31) ابن عنين، ديوان ابن عنين، ص59؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص220.

(32) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت630ه)، (2002م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق،

الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج10، ص468.

(33) الشقيرات، حسين رجا، (2014م)، الملك المعظم عيسى الأيوبي ودوره في مقاومة الغزو الصليبي، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ص84.

(34) قاسم، قاسم عبده، (1978م)، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص124.

(35) عكا: مدينة في بلاد الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط، يقول ياقوت الحموي: وهي من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص143).

(36) دمياط: مدينة قديمة في مصر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وإليها ينتهي ماء النيل. (اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت284ه)، (2002م)، البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص176).

(37) عاشور، سعيد، (2010م)، الحركة الصليبية، الطبعة التاسعة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ج2،ص212.

(38) الحريري، سيد علي، (1985م)، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، الطبعة الثالثة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص295.

(39) المقريزي، السلوك، ج1، ص309.

(40) أشوم طناح: تقع قرب دمياط، وهي مدينة الدقهلية. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1،ص200).

(41) للاطلاع على ثورة ابن المشطوب. انظر: ص8.

(42) المقريزي، السلوك، ج1، ص310.

(43) الحريري، الأخبار السنية، ص299–302.

(44) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص331.

(45) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص468.

(46) صدر الدين الجويني: هو محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الصوفي، ولي تدريس الشافعي ومشهد الحسين، كانت داره مجمع الفضلاء، توفي سنة 617ه.. (الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764ه)، (2000م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص182).

(47) الذهبي، العبر، ج3،ص175.

(48) الحريري، الأخبار السنية، ص303.

(49) الحريري، الأخبار السنية، ص303.

(50) الدواداري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك (ت736هـ)، (1972م)، كنز الدرر وجامع الغرر "الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب"، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ج7، ص211.

(51) حجة، شوكت رمضان، (2016م)، دور القدس في الصراع السياسي منذ هدنة الرملة حتى سقوط الدولة الأيوبية 588–648هـ/1192–1250م: دراسة تاريخية، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر،

ص220.

(52) عمران، محمود سعيد، (1985م)، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، مصر، ص206.

(53) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد اليمني المكي (ت768هـ)، (1997م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعدُ من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص32.

(54) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي(ت774هـ)، (1988م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ج13،ص142؛ الطحطاوي، عبدالأعلي مهدي، (1978م)، "الملك الكامل ابن العادل بن أيوب"، مجلة كلية دار العلوم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ع8، ص169.

(55) السميذع: هو السيد الشجاع، والكريم، والشريف، والسخيّ. وقيل: هو الرجل الخفيف في حوائجه. (الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني (ت1205هـ)، (د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ج21،ص222)

(56) المورد: هو المنهل، وهو عين ماءٍ ترده الإبل. (ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج11، ص680)

(57) علوج: العلج هو الرجل من كفار العجم. (ابن منظور، لسان العرب، ج2،ص326)

(58) ابن عنين، ديوان ابن عنين، ص31.

(59) ابن المشطوب: هو عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي الهكاري، المعروف بابن المشطوب، والمشطوب لقب والده، وقيل له ذلك لشطب كان بوجهه، كان من أمراء الدولة الصلاحية، كان وافر الحرمة عند الملوك، معدودًا بينهم مثل واحد منهم، ولم يزل قائم الجاه والحرمة حتى حدث منه ما حدث في حادثة دمياط، فسُجن ومكث على تلك الحال حتى توفي سنة 619هـ. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص180-182).

(60) المقريزي، السلوك، ج1،ص314.

(61) الملك الفائز: هو غياث الدين إبراهيم بن العادل، خرج على الملك الكامل طمعًا في حكم مصر باتفاق مع ابن المشطوب، لكن الكامل تدارك الأمر، فأخرجه من مصر إلى بلاد الشام، مات بين سنجاب والموصل، وذُكر أنَّه سُمَّ فرُدَّ إلى سنجاب ودُفن بها. (ابن كثير، البداية والنهاية، ج13،ص109).

(62) الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ص298.

(63) المقريزي، السلوك، ج1، ص335.

(64) أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن الشافعي(ت665هـ)، (2002م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ص176.

(65) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص80.

(66) المقريزي، السلوك، ج1، ص315.

(67) المقريزي، السلوك، ج1، ص315.

(68) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد الحلبي(ت660هـ)، (1996م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص465.

(69) ابن العديم، زبدة الحلب، ص465.

(70) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص292.

(71) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص292.

(72) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج5، ص186.

(73) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص234.

(74) صفي الدين بن شكر: هو صفي الدين عبدالله بن علي بن الحسين الشيبي الدميري، وزير مصري، ولد سنة 548هـ، اهتم بالفقه وألَّف كتابًا فيه على مذهب مالك، ولَّاه العادل ديوانه سنة 587هـ، ثم استوزره، عمد إلى سياسة العنف والمصادرة، فعزله العادل، ترك مصر وخرج إلى آمد إلى أن مات العادل، طلبه الكامل أثناء الحملة الصليبية، واستوزره، واستمر في وزارة الكامل حتى توفي سنة 622هـ (الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، (2002م)، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ج4، ص105).

(75) المقريزي، السلوك، ج1،ص331.

(76) للمزيد عن ثورة ابن المشطوب انظر: الرويضي: محمود، (2009م)، " عماد الدين أحمد بن المشطوب وأثر حركات عصيانه على سلاطين بني أيوب وملوكهم"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، الأردن.

(77) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص394.

(78) الطحطاوي، الملك الكامل، ص157.

(79) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص227.

(80) عاشور، سعيد، (1972م)، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ص83.

(81) جلال الدين منكبرتي: هو الابن الأكبر للسلطان علاء الدين محمد بن تكش بن أرسلان بن أتسز الخوارزمي، تربَّى في كنف والده، وكان يصاحبه في أغلب معاركه، كان تركيًّا وأمه هندية، في عهده سقطت الدولة الخوارزمية بيد المغول، وهرب جلال الدين باتجاه إقليم الجزيرة؛ حيث وصل إلى ميافارقين، وهناك قُتل على يد شخصٍ كردي كان الخوارزميون قد قتلوا أخاه. (محمد، نيشتمان و خضر، سلمان، (2016م)، "علاقات جلال الدين منكبرتي مع الخلافة العباسية (617-628هـ/1220-1230م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، ج1، ع46، ص10-22).

(82) فردريك الثاني: هو فردريك بن هنري السادس بن فردريك باباروسا بن فردريك دوق سوابيا، وأمه كونستانس ابنة الملك وليم الثاني ملك صقلية، ولد في مدينة جيسي بإيطاليا سنة 1194م، توفي والده وهو صغير، تُوِّجَ ملكًا على صقلية سنة 1198م، توفيت والدته الإمبراطورة فأصبح تحت وصاية البابا أنوسنت الثالث الذي أهمله ولم يره إلا مرة واحدة خلال فترة وصايته، وكان لذلك أثره على تعليمه، فقد تجول في شوارع صقلية وتعلَّم منها الكثير، اهتم فردريك بالعلوم المختلفة، أتقن ست لغات وتذوَّق الشعر العربي. (البري، هايل مضفي هلال، (2004م)، السياسة الخارجية للإمبراطورية الرومانية

المقدسة في عهد الإمبراطور فردريك الثاني 609-648ه/1212-1250م، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ص70-72).

(83) المقريزي، السلوك، ج1، ص345.

(84) المقريزي، السلوك، ج1،ص310.

(85) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص128؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت732ه)، (د.ت)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ج3، ص134.

(86) المقريزي، السلوك، ج1، ص335.

(87) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص127.

(88) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص128.

(89) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص177.

(90) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص209.

(91) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص209.

(92) المقريزي، السلوك، ج1، ص345.

(93) المقريزي، السلوك، ج1، ص345.

(94) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص209.

(95) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص209.

(96) المقريزي، السلوك، ج1، ص345.

(97) الجوسق: القصر الصغير. (محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص57).

(98) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص263.

(99) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4،ص181.

(100) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص137.

(101) المبيضين، فادي موسى، (2005م)، الملك الناصر داود "ملك الكرك" شاعرًا، رسالة ماجستير، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ص4.

(102) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 468.

(103) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص117.

(104) خلاط: مدينة كبيرة مشهورة قصبة بلاد أرمينية، ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة، بها المياه الغزيرة والأشجار الكثيرة. وأهلها مسلمون ونصارى. (القزويني، آثار البلاد، ص524).

(105) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص263.

(106) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4،ص139.

(107) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص331.

(108) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص259.

(109) ابن نظيف، أبو الفضائل محمد بن علي الحموي (ت631ه)، (د.ت)، التاريخ المنصوري. (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق: أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز – مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص109.

(110) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص469.

(111) المقريزي، السلوك، ج1، ص339.

(112) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22،ص127.

(113) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص258.

(114) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص272.

(115) جرجس بن العميد، عبدالله جرجس بن أبي ياسر (ت. بعد 679ه)، (د.ت)، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص16.

(116) الغامدي، علي محمد عودة، (1988م)، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ص117–118.

(117) الدولة الخوارزمية: إحدى القوى الإسلامية، قامت في إقليم خوارزم فيما وراء النهر في الفترة بين (490––628هـ)، امتدت حدودها من العراق غربًا إلى حدود الهند شرقًا، ومن بحر آرال وقزوين شمالًا حتى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوبًا. (الغربي، عابد عبدالرزاق، (1996م)، علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص5–38).

(118) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص296.

(119) عثامنة، خليل، (2016م)، "التنازل عن القدس وتسليمها للصليبيين من قبل السلطان الأيوبي الملك الكامل"، مجلة المجمع، أكاديمية القاسمي، مجمع القاسمي للغة العربية، فلسطين،ع11، ص87؛ سميث، جوناثان رايلي، (2009م)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ج2، ص102.

(120) السيد، إبراهيم علي الدين(2003م)، تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النشر الدولي، الرياض، ص119.

(121) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص236؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص321.

(122) المقريزي، السلوك، ج1، ص327.

(123) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص237.

(124) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص481.

(125) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج22، ص284.

(126) حسن، غادة، (2021م)، العلاقة بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فردريك الثاني (626–624هـ/1226–1229م)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، جامعة تشرين، سوريا، مج43، ع2، ص347.

(127) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص234.

(128) إبراهيم السيد، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص123.

(129) صيدا: تقع على ساحل البحر، عليها سور من حجارة، وكورتها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار، لها أربعة أقاليم، متصلة بجبل لبنان، تشتمل على نيف وستمائة ضيعة. (ابن شداد، عز الدين محمد بن علي الحلبي (ت684هـ)، (1994م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ج2، ص103).

(130) حجة، شوكت، دور القدس في الصراع السياسي، ص232.

(131) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج22، ص296.

(132) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص236.

(133) كنعان، عاصم إسماعيل، وسعيد، غالب محمود، (2015م)، "صراع السلطة بين أبناء البيت الأيوبي بداية النهاية لحكمهم"، مجلة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى، العراق، ص320.

(134) النهار، عمار محمد، (2017م)، "الكامل الأيوبي وبيت المقدس: قراءة جديدة"، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد 135، ص339.

(135) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج5، ص214؛ الذهبي، العبر،ج3،ص182.

(136) السمرمر: طائرٌ يشبه السمانى أسود اللون ينهزم الجراد من صوته. (مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد وعبدالقادر،حامد والنجار، محمد، (د.ت)، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، مصر، ج1،ص448).

(137) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص 260–261؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7،ص266.

(138) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص219.

(139) الملك الناصر داود: هو الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل، ولد سنة 603هـ، كانت أمه خوارزمية، كان فقيهًا حنفيًّا ذكيًّا، مناظرًا، أديبًا شاعرًا بديع النظم، تولى دمشق بعد أبيه، وأحبه أهل البلد، فأقبل عمَّاه الكامل والأشرف فحاصراه شهورًا، وأخذا دمشق منه، وقنع بالكرك، ثم زوَّجه الكامل بابنته عاشوراء سنة 629هـ، توفي سنة 656هـ، مات بالطاعون رحمه الله. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص376–381).

(140) ربيعة خاتون: ربيعة بنت نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، أخت صلاح الدين يوسف، ولدت سنة 561هـ، كانت فاضلة تقية، وهي التي بنت المدرسة الحنبلية في جبل الصالحية في دمشق، وجعلت لها أوقافًا، توفيت بدمشق سنة 643هـ. (الزركلي، الأعلام، ج3، ص16).

(141) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص142.

(142) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ)، (1987م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج45، ص5.

(143) مظفر الدين كوكبري: من أعظم آل بكتكين وأكابر من اشتهر من رجالها، لُقِّبَ بـ (ملك الأمراء)، كان يداري الخلافة

العباسية، وتقلَّب ولاؤه لبني أيوب فتارةً يقف في صف هذا وأخرى في صف ذاك، توفي سنة 630هـ. (العزاوي، عباس، (1946م)، "آل بكتكين، مظفر الدين كوكبري أو إمارة إربل في عهدهم 522–630ه"، مجلة المجمع العلمي العربي، سوريا، المجلد 2 1، الجزء 11–12، ص528).

(144) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4،ص176.

(145) ابن واصل، مفرج الكروب،ج4،ص139.

(146) ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر الكندي (ت749ه)، (1996م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص145.

(147) الغامدي، بلاد الشام، ص126.

(148) العجمي، عبدالله معيض، (2017م)، الخليفة العباسي الناصر لدين الله وسياسته من خلال المصادر التاريخية والدراسات الحديثة 575–622هـ، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، الأردن، ص83.

(149) أقسيس بن الملك الكامل: هو الملك المسعود أقسيس بن السلطان الملك الكامل، استولى على اليمن سنة 611هـ، كان شهمًا شجاعًا وجبَّارًا فاتكًا، قتل باليمن ثمانمائة شريف وجماعة من الأكابر والعظماء، طمع في السيطرة على الشام بعد وفاة عمه المعظم، توفي في مكة بالفالج. (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص200؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص332).

(150) البندق: يُصنع من الطين أو الحجر أو الرصاص، وتطلق على الحمام بالمزاريق، وهي أنابيب ترسلها بضغط الهواء، أو بالنشَّاب، أو بالأقواس، أو بما يسمَّى أيضًا بقوس البندق. (ماجد، عبدالمنعم،(1996م)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص147).

(151) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، (1988م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ج13،ص115.

(152) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص261.

(153) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص469.

(154) الحسن بن قتادة: هو الحسن بن قتادة بن إدريس الحسني، أمير مكة، أرسله أبوه مع جند له بقيادة عمٍّ له، للاستيلاء على المدينة، فقتل عمَّه في الطريق، وعاد إلى مكة فخنق أباه. وكان له أخ ينوب عن أبيه بقلعة ينبع، فاستحضره وقتله، فاستقر في حكم مكة. ونازعه أخوه راجح مستعينًا بأمير الحج، فظفر بأمير الحج وقتله، ثم قتل أخاه "راجحًا". فرَّ بعد هزيمته على يد الملك المسعود أقسيس إلى العراق ومات فيها. (الزركلي، الأعلام، ج2،ص211)

(155) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص117.

(156) الجزيري، عبدالقادر بن محمد الأنصاري الحنبلي (ت977هـ)، (2002م)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص370.

(157) الظاهر بأمر الله: هو الخليفة أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله الهاشمي العباسي، ولد سنة 571هـ، بُويع بولاية العهد،

وخُطب له وهو مراهق، واستمر ذلك سنين، ثم خلعه أبوه، وولى عليًّا أخاه العهد، فدام ذلك حتى مات علي، فاحتاج أبوه أن يعيده إلى العهد، وُلِّيَ فأظهر العدل والإحسان، استُخلف وله اثنتان وخمسون سنة، توفي سنة 623هـ. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص264-268).

(158) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص263.

(159) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج5، ص223.

(160) الرويضي، محمود محمد، الملك المعظم عيسى ودوره في مقاومة الغزو الصليبي، رسالة دكتوراة، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤته، الأردن، ص126.

(161) الغريبي، عابد، علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، ص64.

(162) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13،ص124.

(163) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص269.

(164) أبو محسن، سمير حسين،(2013م)، خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب": دراسة تاريخية منهجية 589-648هـ/1194-1250م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ص137.

(165) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4،ص229.

(166) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص127.

(167) المقريزي، السلوك، ج1، ص357.

(168) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22،ص237-247؛ المقريزي، السلوك، ج1،ص315.

(169) أبو شامة المقدسي، الروضتين،ج5،ص176.

(170) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج10،ص468.

(171) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص257.

(172) المقريزي، السلوك، ج1، ص315.

(173) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص252.

(174) الملك المنصور: هو محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي، حكم حماة ثلاثين عامًا، ألَّف كتابًا في التاريخ، كان زوج بنت السلطان الملك العادل، لما توفيت بالغ في حزنه عليها، كان كثير المطالعة والبحث، بنى سورًا لحماة، وكان موكبُهُ جليلًا يضاهي موكب عمه العادل، توفي سنة 617هـ/1220م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص147)

(175) الملك المظفر: هو تقي الدين محمود بن محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي، صاحب حماة، مولده ووفاته فيها، ولَّاه عمه الملك الكامل حماة بعد أن انتزعها من أخيه الناصر، كان شجاعًا كريمًا محبًّا للعلماء، توفي سنة 642هـ/ 1244م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص147؛ الزركلي، الأعلام، ج7،ص182).

(176) الملك الناصر: هو قليج أرسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي، صاحب حماة، تولاها بعد وفاة

أبيه، وجرت بينه وبين الملك الكامل محمد حوادث أدت إلى إخراجه من حماة، وتسليمها إلى أخيه محمود المظفر، وجعل له الكامل قلعة بارين فأقام فيها إلى أن خشي أخوه أن يسلمها إلى الإفرنج؛ لضعفه، فانتزعها منه، ثم رحل الملك الناصر إلى مصر، فمنحه الكامل إقطاعًا، ثم بدا منه ما لا يليق من الكلام، فقبض عليه الملك الكامل وأودعه السجن، وتوفي فيه سنة 635هـ/1237م. (الزركلي، الأعلام، ج5،ص203).

(177) ابن نظيف، التاريخ المنصوري، ص91؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص466.

(178) الصائغ، ذكرى عزيز محمد صالح، (1988م)، عصر الملك الكامل الأيوبي، رسالة ماجستير،كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ص27؛ القثامي، متعب حسين، (1993م)، مملكة حماة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص160.

(179) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص131.

(180) الذهبي، العبر، ج3،ص189.

(181) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص205؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص145.

(182) ابن واصل، مفرج الكروب،ج4،ص 180.

(183) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص145.

(184) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص472.

(185) الذهبي، العبر،ج3،ص189.

(186) إبراهيم السيد، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص119.